غراب البين

يصور عنترة في هذه القصيدة وقوفه على طلل عبلة يسائله عنها فيجيبه غراب ينوح لفراق إلفه نواح عنترة لفراق عبلة، ثم يخاطب حمامة تهتف شاكية صروف الزمان فينكر عليها بكاءها لغير حزن أصابها، وينتقل إلى مناجاة عبلة فيتمنى لو زاره خيالها مرة في كل شهر، على أن شخصها لا يفارقه وإنما يظل دائماً ماثلاً لعيانه، وينهي قصيدته بفخره بشجاعته وفتكه بالأعداء.

[الطويل]

لِمَنْ طَلَلٌ بالرَّقْمَتَينِ[١] شَجَاني
وَعاثَتْ بِهِ أيْدِي البِلى فَحكاني
وَقَفْتُ بِهِ وَالشّوْقُ يَكْتُبُ أسطراً
بِأقْلامِ دَمْعي في رُسُومِ جَنَاني[٢]
أُسَائِلُهُ عَنْ عَبْلَةٍ، فأجابَني
غُرَابٌ بِهِ ما بي مِنَ الهيمَانِ[٣]
يَنُوحُ عَلى إلْفٍ لَهُ وَإذا شَكَا
شَكَا بِنَحيبٍ لا بِنُطْقٍ لِسَانِ
وَيَنْدُبُ مِنْ فَرْطِ الجَوَى[٤] فأجَبتُه
بِحَسْرَةِ قَلْبٍ دائِمِ الخَفَقَانِ

(١) الرقمتين: روضتان بناحية الصمان.
(٢) جناني: قلبي.
(٣) الهيمان: التوهان والضياع.
(٤) فرط الجوى: شدة الحزن.

ألا يـا غُـرَابَ الـبَـيْـنِ لـوْ كـنـتَ صَـاحـبـي
قَـطَـعْـنـا بـلادَ الـلَّـهِ بـالـدَّوَرَانِ
عَـسَـى أن نـرَى مـن نـحْـوِ عَـبـلـةَ مـخـبـراً
بـأيّـةِ أرْضٍ أوْ بـأيّ مَـكَـانِ
وَقَـد هَـتَـفَـتْ فـي جُـنْـحِ لـيـلٍ حَـمـامـةٌ
مُـغَـرِّدَةٌ تَـشْـكُـو صُـرُوفَ زَمَـانِ[١]
فـقُـلْـتُ لَـهـا: لَـوْ كُـنـتِ مِـثْـلـي حَـزِيـنَـةً
بَـكَـيْـتِ بـدَمْـعٍ زَائِـدِ الـهَـمَـلانِ[٢]
وَمـا كـنـتِ فـي دَوْحٍ[٣] تَـمـيـسُ[٤] غُـصُـونُـهُ
وَلا خُـضِـبَـتْ[٥] رِجْـلاكِ أحْـمَـرَ قـانـي
أيَـا عَـبْـلَ! لَـوْ أنّ الـخَـيَـالَ يَـزُورُنـي
عَـلـى كُـلّ شَـهْـرٍ مَـرّةً لَـكَـفَـانـي
لَـئِـنْ غِـبْـتِ عَـنْ عَـيْـنـيّ يـا ابْـنـةَ مـالـك
فَـشَـخْـصُـكِ عِـنْـدِي ظـاهِـرٌ لِـعِـيَـانـي
غَـداً تُـصْـبِـحُ الأعْـداءُ بـيـنَ بـيُـوتِـكُـمْ
تَـعَـضّ مِـنَ الأحْـزَانِ كُـلَّ بَـنَـانِ[٦]

(١) صروف زمان: تغيّر الأحوال.
(٢) الهملان: انهمار الدمع.
(٣) الدوح: ضرب من الشجر عظيم.
(٤) تميس: تتحرّك.
(٥) خُضبت: صُبغت.
(٦) البنان: واحدها بنانة: أطراف الأصابع.

فَـلا تَـحْـسَـبُـوا أنّ الـجُـيُـوشَ تَـرُدّنـي
إذا جُـلْـتُ فـي أكْـنَـافِـكُـمْ[١] بـحِـصَـانـي
دَعُـوا الـمَـوْتَ يَـأتـيـنـي عـلـى أيّ صُـورَةٍ
أتـى لأُرِيـهِ مَـوْقِـفـي وَطِـعَـانـي

أين ترحل السكان؟

يصف عنترة في هذه الأبيات ديار أهله، ويطلب من صاحبه أن يسأل ربع عبلة عنها، لأنه لا يمكنه أن يسأله بنفسه لشدة ولهه وحزنه، ويتمنى لو أن في استطاعة المنازل أن تخبر أين استقر أهلها، ثم يخاطب طائراً يندب إلفه نائحاً ويقول له: لو كان حزنك مثل حزني لما لبست ملوناً ولا تهاديت على الأغصان، ويستعيره جناحه ليطير ويسائل عن عبلة في أية أرض هي.

[الكامل]

يـا دارُ أيـنَ تَـرَحّـلَ الـسُّـكّـانُ؟
وَغَـدَتْ بـهـمْ مِـنْ بـعـدِنـا الأظْـعـانُ[٢]
بـالأمْـسِ كـانَ بـكِ الـظّـبـاءُ أوَانـسـاً
وَالـيَـوْمَ فـي عَـرَصَـاتـكِ[٣] الـغِـرْبـانُ
يـا دارَ عَـبْـلَـةَ أيـنَ خَـيّـمَ قَـوْمُـهَـا؟
لَـمّـا سَـرَتْ بـهـمُ الـمَـطِـيُّ[٤] وَبَـانُـوا[٥]

(١) أكنافكم: أنحائكم.
(٢) الأظعان، واحدتها ظعينة: الراحلات على النياق في هوادجهن.
(٣) العرصات، مفردها عرصة: ساحات الديار.
(٤) المطي، واحدتها مطيّة: النياق. (٥) بانوا: رحلوا وتركوا الديار.